لبنان في رسائل نازك الملائكة

الحلقة الاولى (٢)

اعدتها للنشر / احسان الملائكة

ضهور الشوير٤-٧-١٩٤٩
إلى شقيقتها سها

عزيزتي سها

اكتب اليك من قمتي الفاتنة في ضهور الشوير تحف بي اشجار الصنوبر، وعلى مقربة ترتفع الجبال المكللة بالجليد وتسبح فوقها الغيوم السحرية.

إن الحياة هنا هي في حد ذاتها تهذيب للنفس، وربما لذلك يا عزيزتي ان احدثك عن نوعية الحياة التي نحياها هنا، فوق قمة أعلى جبل مسكون في لبنان حيث تنصرم أياي في اسلوب حلو يغلب عليه السلام والجمال والبساطة، واليك برنامج حياتنا في المخيم.

نستيقظ في السادسة والنصف فجراً، فنلبس ثياباً صوفية ومعطفاً ونهرع لغسل أوجهنا في المغاسل. وفي السابعة نجتمع حول العلم اللبناني الذي يتوسط المخيم فنقدم له التحية على ان اعضاء المخيم ينتمون إلى شعوب مختلفة كالعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن وانجلترا وأميركا وبولندا، فنحن نكاد نكون عصبة أمم، ولذلك يغلب أن نتكلم الانجليزية في اجتماعاتنا، ثم ساعة الفطور في خيمة مكشوفة تشرف على البحر والجبال المجاورة، وفي الثامنة توزع علينا أعمال المخيم مثل التنظيف وغسل الصحون وجلب الحطب والمساعدة في الطبخ، وملء اوعية الماء للشرب وسوى هذا من الأعمال البسيطة التي نقوم بها ضاحكات وهكذا يبقى المخيم نظيفاً مريحاً، وقبيل التاسعة تبدأ الصلاة المسيحية، وتقرأ علينا فصول من الكتاب المقدس، بعد ذلك، تلقى علينا محاضرتان تستمر كل منهما خمسين دقيقة، تتخللها فرصة راحة قصيرة وهذه المحاضرات اجتماعية غالباً، وكانت محاضرة اليوم حول فائدة كتابة المذكرات واليوميات، بالنسبة للشابات والشبان، وتنتهي المحاضرات في الحادية عشرة والنصف. ونتناول الغداء في الثانية عشرة والنصف. بعدها نرتاح حتى الثالثة والنصف، اما برنامج ما بعد الظهر فهو اروع ما يمكن ان تتخيلي. ففي الثالثة والنصف تبدأ دروس الموسيقى، والتمثيل، والرقص الريفي، والرسم. وتختار كل منا ما تشاء من هذه الدروس، واخترت انا الموسيقى طبعاً، ولو كانت معنا احسان لاختارت الرسم، فمعنا سيدة قديرة ترشد الزميلات في هذا الباب لاسيما رسم مناظر الطبيعة الحية، وقد حفظت حفنة من الاغاني الرقيقة الشاعرية التي تصف الجبال والبحار وتتغنى بالنجوم وتدعو إلى الحب والسلام، وبعضها يثيرني إلى درجة ذرف الدموع.. ثم نخرج للنزهة في مصيف ضهور الشوير الكبير الفخم بشوارعه الجميلة الواسعة ومقاهيه المنظمة وكازينواته وفنادقه، فنمشي طويلاً نرقب الجبال ونجمع اثمار الصنوبر، ونتكلم اللهجة اللبنانية مع اصحاب الحوانيت الكبيرة الفخمة الجميلة، ويزدحم المصيف في يومي العطلة السبت والأحد، كما تزدحم بغداد عصراً، حتى يصعب علينا السير وعبور الشوارع..

في السابعة مساء نحتفل بانزال العلم ونقدم التحية للشمس الغاربة، وهذه الفعالية شعرية جداً، نجلس كلنا على كراسي منخفضة من الحصير، في حلقة تواجه الشمس الغاربة على البحر، وننشد بضعة اناشيد رقيقة بالانجليزية، أو نجلس صامتين وهو ما أفعله أنا باستمرار.

ثم العشاء في السابعة والنصف، وفي الثامنة والنصف يبدأ السمر، وفيه تتلى علينا قصة، أمس سمعنا قصة لموباسان، أو تقوم الزميلات بتمثيل مسرحية قصيرة، وأروع ما في هذه الأماسي ما نسميه هنا "نار المخيم" إذ تطفأ الأنوار الكهربائية جميعاً، ونبقى في ظلام دامس ونحن نجلس في دائرة كبيرة منتظمة تتوسطنا كومة من الحطب والشوك، تحف بها أربع فتيات ثم تتقدم أحداهن، وتحيي النار لأنها رمز الطهر، وتتقدم الفتاة الثانية، وتحيي النار لأنها رمز الحب والصداقة، والثالثة لأنها رمز النور، والرابعة لانها رمز الحرارة، بعد ذلك توقد النار ونحن في صمت عميق وخشوع، وننشد نحن بعدها بالانجليزية (اشتعلت النار، نار المخيم تعالوا لننشد معاً في المساء، لنغن ولنكن مرحين" ثم نغني ما نشاء بالعربية والانجليزية واللاتينية أحياناً. في التاسعة والنصف ليلاً تنتهي فعاليات اليوم فنجتمع في حلقة متماسكة وننشد أنشودة شعرية مؤثرة عن "الصداقة القديمة": (أعطني يدك يا أخي وخذ يدي، ولنكن اصدقاء) ثم ننصرف في خيامنا. وفي العاشرة تطفأ الأضواء في كل المخيم، وننام كلنا. لا أكتمك يا صغيرتي المحبوبة انني أحياناً أتبرم بهذه القيود، إلا انني استفيد منها شعرياً، ونفسياً، فقد زايلني الشعور بالذات، وهو الكابوس الذي يطاردني دائماً، إلا ان الفكرة العامة عني بين اللبنانيات انني "صامتة" جداً.

في اليومين الأولين من وصولنا كنت مرتاحة جداً لأن الزميلات لا يعرفن اسمي، ثم تلي اسمي ذات صباح، فتحولت الانظار إليّ وتعالت الهمسات من كل جهة "الشاعرة"، "عاشقة الليل" على ان أياً منهن لم تقرأ شعري!! إلا انني ما اكاد أجلس حتى توجه إليّ الاسئلة، وتنهال عليّ الطلبات: (بحياتك موش تكتبيلنا شي عن المخيم) أو (دخلك عندك شي قصيدة عن الجبال)!!

على ان هذه الشهرة قد افادتني في حدود المخيم، فقد جاءت احدى المرشدات إليّ وسألتني: أأنا مرتاحة؟ ثم زادت وقالت ان من الخير لي أن أعفى من اعمال التنظيف وجمع الحطب فشكرتها. وأخبرتها أنني سأقوم بواجباتي كلها:

في المخيم تعرفت إلى آنسة سورية من حمص اسمها (آنجيل عبود) وكانت قد اصدرت كتاباً في الاسبوع الماضي عنوانه "شهداء" وأمس أمضيت معها عدة ساعات فعرفت انها أحضرت معها إلى المخيم مكتبة صغيرة!! أكثرها مؤلفا أدبية فرنسية منها مؤلفات سارتر، وزولا، وموباسان، وأكثر ما تقرأ القصص القصيرة لأن هذا ميدانها. المهم انني سررت لأنني عثرت على فتاة تصرف راتبها كله على الكتب، وفي الليل تلوت عليها قصائدي "صراع" و"كبرياء" و"انا" فأحبت قصيدة كبرياء.

زميلاتي العراقيات عموماً في شوق حاد للعراق، وأمس حاولنا الاستماع إلى محطة الاذاعة العراقية، فلم نعرف مكانها مطلقاً كيف انتم والموسيقى؟ انني هنا في نعيم، فمعنا اسطوانات كلاسيك كثيرة لفاجنر، وتشايكوفسكي، وبرليوز، وكريك، وشوبرت، وماندلسون، وقد استمعنا أمس إلى السمفونية الحزينة" لتشايكوفسكي، "وبحيرة البجع" له ايضاً. ما أعظم فاجنر واعجب العجب عبارة تشايكوفسكي المشهورة (أي دون كيشوت قد كان فاجنر!).

هل امضي في حديثي عن المخيم؟

أرجو ألاّ تتخيل احسان ان مخيم الشابات المسيحيات W.C.A. لا كمخيمنا في سرسنك العام الماضي، فهو يكاد يكون بيتاً منتظماً مريحاً، نحن نأكل على موائد طويلة، ونجلس على كراسي جبلية من الخشب والخوص، في خيمة خاصة تشرف على الوديان والجبال ومن بعيد يبدو لنا البحر، وفي المخيم نادٍ كبير يتوسطه راديو جيد، وجهاز جرامفون كهربائي مجهز بأحدث الاسطوانات الموسيقية الكلاسيك والغنائية والراقصة، وحتى التعليمية التي تتحدث عن مواضيع مثل "الموسيقى في أميركا" او "منشأ موسيقى الجاز" وسوى هذا. وفي النادي مكتبة صغيرة ومنضدة كبيرة للكتابة وهي تحفل بكثير من المجلات والكتب. ويضم النادي ما يقرب من سبعين كرسياً مريحاً. وفي المخيم ممرضتان لهما خيمة خاصة مجهزة بصيدلية صغيرة، فلا تكاد اية واحدة منا تشعر بوعكة حتى تكون احدى الممرضتين عند رأسها. وفي المخيم مخزن صغير لبيع الفاكهة وعلب الطعام والسكائر والدفاتر والجوارب وحتى الكتب! (لاحسان ونزار وسعاد عثرت على الدفاتر الجميلة التي اوصوني بشرائها، وسأحضر معي عدداً كافياً منها).

الضباب هنا أي الغيوم التي نعيش بينها اضطراراً، شيء رائع.. انني اقف مساء احدق في الجبال فأرى الغيوم تركض حولي حتى تغلق (المراجيح) الأربع في المخيم، وحتى لا نعود نرى شيئاً يبعد عشرين متراً، ما عدا اشجار الصنوبر العنيدة المتحدية، فكل شيء غيرها أبيض كالجليد الذي يغطي الغيوم. وان الرطوبة التي تبلل معطفي وحذائي انما هي ذرات الغيوم لا غير. يا لها غيوماً قاسية، حتى ثيابي داخل الحقيبة لم تنج من شراستها.

خلال اليومين القادمين سنذهب إلى بيروت لنشاهد فلماً سينمائياً ونجلس على شاطئ البحر ساعات، وفي يوم السبت سنسافر إلى الأرز حيث نتزحلق على الجليد، ونزور مغارة "تاديشا" ذات الستلاكتايت والستلاكمايت، ثم نزور قرية "بشري مدفن جبران خليل ونرى "اهرون" الساحرة، وسنبيت في الأرز، وهناك سأكتب اليكم رسالة مطولة عن مشاهداتي.. اعتذر عن المضي في الكتابة يا سوسو لأن صافرة المخيم تكاد ترنّ معلنة بدء دروس الموسيقى والرسم والرقص الشعبي على ان هذا البرنامج المعقد سينتهي في الأسبوع القادم، وننال بعده حرية كبيرة. تحياتي إلى كل الصديقات لاسيما فاطمة وسنية بلغي تحياتي القلبية إلى جدتي هواية وأخوالي جميعاً وأعمامي وعماتي وخالاتي وابنائهم وبناتهم ولا تنسي أحداً منهم.

فأنا شديدة الشوق إليهم جميعاً، وإليك وإلى اخواتي وإلى اخوي أجمل التحيات.

نازك

ما اعظم فاجنر واعجب العجب عبارة تشايكوفسكي المشهورة : أي دون كيشوت قد كان فاجنر!

مساء نحتفل بانزال العلم ، ونقدم التحية للشمس الغاربة.. نجلس كلنا على كراسٍ منخفضة من الحصير وننشد بضعة اناشيد رقيقة بالانجليزية

خرجنا في نزهة على ضوء القمر فاصّرت (جورجيت) ان نجلس صامتين لنصغي إلى ضفدعة تلغط في بركة ماء قريبة

ضهور الشوير في ١٠-٧-١٩٤٩
إلى شقيقتها احسان

احسان العزيزة

اشواق وأشواق وأشواق تملأ نهاري وليلي أحلاماً بكم، وتخيلاً للحياة التي تعيشونها في العراق العزيز. ها أنا أمسك بالقلم، وقد اعترى كل شيء حولي ذلك الجمود الرتيب الذي تألفه الظهيرة في كل مكان فأشجار الصنوبر ساهمة جامدة، والجبال الجبارة تجثم في برود ولا مبالاة وكأنها تحتضن الظهيرة نفسها، وكل شيء هادئ ساكن سوى ذلك الحيوان النشيط الذي يئز طيلة النهار:

انا هنا في المخيم مرتاحة وحياتي منظمة وهي تروقني جداً.

ولا شيء يضايقني إلا ان كل انسان في المخيم يرمقني باستغراب واعجاب لأنني شاعرة!!

يوم الجمعة ذهبنا إلى بيروت صباحاً، وبقينا فيها حتى السادسة مساءً، وأظنك سمعت عن حر بيروت ورطوبتها، ذهبنا إلى السوق واشترينا بضعة اشياء، ودخلنا مقهى صغيراً واكلنا "البوزة" الدوندرمة، وتناولنا غداءنا في مطعم "اوندين" في الزيتونة على شاطئ البحر. كان منظر البحر رائعاً بزرقته الرهيبة. وبقينا هناك ساعتين، ثم خرجنا ومررنا بمكتبة ابتعت منها كتاب "عشيق الليدي جاترلي" الشهير بلغته الانجليزية الجميلة التي اشتهر بها د. هـ. لورنس، واشتريت مجلة الأديب بضعف ثمنها في بغداد أليس هذا غريباً؟؟

في المخيم معي الأديبات: انجيل عبود القصصية السورية والآنسة نهلة مروة المحررة في مجلة "صوت المرأة" وسوف تنشر قصيدتي "يوتوبيا الضائعة" في المجلة كما أعدت كلمة عني وعن وجودي في لبنان الآن، وعن شعري، وهي من أقارب كامل مروة صاحب جريدة "الحياة" والاستاذ حسين مروة الكاتب المعروف.

يوم الجمعة القادمة سأذهب إلى بيروت تلبية لدعوة من الآنسة "ادفيك جريديني" الكاتبة المعروفة، وهي ممن يكتبون في (صوت المرأة).

والآن سأحدثك عن "جورجيت نويصر) أقرب فتاة إلى نفسي هنا وقد أصبحت من أعز صديقاتي في الواقع، انها فتاة طويلة القادمة، شاحبة الوجه، شاعرة الروح إلى حدّ المرض، عميقة الثقافة، تجيد اربع لغات اوربية اضافة إلى اجادتها العربية فهي تحسن الايطالية والفرنسية والانجليزية، كلاماً وقراءة وكتابة كما انها تعرف الالمانية، وهي تقرأ كثيراً. ولجورجيت طريقة غريبة في الشعور بالأشياء ووصفها، بحيث تخلق منها شيئاً أصيلاً.

تخيلي هذا.. نحن نسير في الوديان المنبسطة، فتنحني فجأة وتجهد نفسها في قطف عرق من الشوك، وأقف انا متعجبة، حتى تنتهي، ثم تقف وتقول وهي تحمل العرق الشوكي: "هذا هو الله، وهذا هو الانسان، وهذه هي الطبيعة"

ولا تنتهي القصة هنا فاذ ذاك تروح تبحث عن صخرة مثقوبة تصنع منها مزهرية، وأشهد أن الغصن والصخرة يكونان صورة رائعة على المنضدة أمامي الآن. هذه الفتاة غريبة في عمق حسّها ورهافة نفسها. أمس خرجنا في نزهة على ضوء القمر فأصرت على ان نجلس صامتتين لنصغي إلى ضفدعة كانت تلغط في بركة ماء قريبة، وقد أبقتنا في حالة صمت كامل مدة نصف ساعة، كانت خلالها تكلم الضفدعه أحياناً بكلام رقيق. ثم انها ذات ثقافة عميقة في الموسيقى الكلاسيك وتحب من الموسيقيين المعاصرين: سيبليوس ورخمانيغوف وسترافنسكي، ومن القدماء فاجنر وبرامز، وهي تحفظ أكبر مجموعة من الأغاني الانجليزية الجميلة وكذلك الايطالية وقد حفظتني مجموعة لا بأس بها من هذه الاغاني، في خيمتها منضدة عليها كتبي وكتبها، وانا طيلة النهار معها وثالثتنا صديقتنا المرحة أنجيل عبود، وهي فتاة رياضية الروح وصريحة. ولو عرفت والدتنا العزيزة مقدار العناية التي ألقاها من جورجيت وآنجيل لقبّلتهما. منذ يومين كنت مسؤولة عن غسل مجموعة من الصحون ودفعتني جورجيت عن المغسل وغسلت كل الصحون مكاني، وكانت حجتها ان بعض الناس خلفوا لأعمال الفكر السامية فحسب!! وهي على المائدة تجلس بجانبي وتبذل جهوداً مستمرة في اقناعي على الأكل والتغلب على خجلي.

جورجيت مدرسة النشيد في المخيم، وفي الأسبوع القادم ستكون هي رئيسة المخيم، ونحن في الصباح نقرأ او نكتب، أمس قرأنا كثيراً من شعر (إوكار الن بو)، إلا ان انجيل لا تحب شعره، ولذلك غادرتنا وهي تقول: (انا او ادكاريو.)!! وجورجيت تحب شعري وتقول انه يعبر عن افكارها دائماً، وأحبت آنجيل قصيدتي "الخيط المشدود في شجرة السرر" و"كبرياء" في حين أحبت جورجيت "عروق خامدة" حباً كبيراً كما تعلقت بقصيدة "صراع".

أظن أن عيد الفطر قريب، وسأشتري ثوباً جديداً ارضاءً لوالدتنا التي تصر على ان نلبس شيئاً جديداً في العيد قضيت ظهيرة اليوم مع الأديبة نهلة مروة، نتحدث عن اشياء كثيرة منها إعدام أنطون سعادة زعيم الحزب القومي وأظنكم قرأتم كل شيء في الصحف وسمعتم الأنباء في الراديو، أعدم بتهمة التآمر على سلامة الجمهورية، وقتل موظف معين في الشرطة، مع تهم أخرى.

عصر اليوم فوجئت مفاجأة رائعة، عندما كنت أجلس في خيمتي، اتحدث عن موعد العودة إلى بغداد في اوائل آب القادم فقد رفعت رأسي فوجدتني أحدق في نعمت وديزي الأمير، فقفزت من مكاني إليها. نعمت قد اصبحت بدينة كأغلب المتزوجات!! إلا ان روحها ما زالت رقيقة. وقد مكثتا معي في المخيم ساعة، والتقطنا عدة صور معاً، ثم خرجت معهما، وسرنا طويلاً نحو بيت أقارب لهما، وهناك رأيت بنت نعمت: وداد الحلوة. انها باختصار master picce وتملك جاذبية طفولية نادرة. وقد غادرتنا نعمت وديزي نحو "عالية" في اول الليل، وسأزورهما في الأسبوع القادم في "عالية" لقد حدثتك عن جورجيت طويلاً، لأنني اشعر بأنك ستعرفينها يوماً، وتحبينها، ولم أنبئك بعد انها فلسطينية، من اللاجئين إلى لبنان، اما آنجيل عبود فهي سورية من حمص.. (هبطت المخيم الآن ثلاث فتيات من الحبشة، وهن يتكلمن معنا بالانجليزية طبعاً.

في هذا الاسبوع سألقي على الزميلات في المخيم ببرنامج ليلتين: ثلاث قصائد "صراع" و"كبرياء" و"لنكن أصدقاء"، يتخلل ذلك كلمة عني تلقيها احدى المرشدات، وفي الليلة الثانية سأعد برنامجاً عن تشايكوفسكي وحياته وموسيقاه. أترين؟ انني هنا بشخصيتي الأدبية الانسانية.

تلقيت رسائلكم.. الف شكر، وسأكتب اليكم مفصلاً.

تحياتي القلبية لأبوي العزيزين، وإليك وإلى الاخوات وإلى اخوي.. الف قبلة إلى عزيزتي (ميسون) التي اشتاق إلى عينيها الجميلتين وقبلاتي إلى اخويها عادل ونسرين، تحياتي الحارة لجميع الاصدقاء والصديقات.....

اختك نازك